

## شعر الخصومة والسجن عند هدية بن الخشرم

د . على إبراهيم أبو زيد

انبثق الدافع إلى هذه الدراسة من الإيمان بضرورة إماطة اللثام عن بعض شعراء العربية، الذين لم ينالوا حظهم من الدرس والتنقيب، وقد أفاضت البحوث والدراسات في الاهتمام بطائفة بعينها من الأدباء، الشعراء والكتاب، بينما أغفلت هذه الدراسات مجموعة أخرى، ربما كانت في الإشادة بأشعارهم، إفادات عظيمة للأدب العربي وتاريخه، وللعربية وأهلها.

وهُدبة بن الخشرم العذرى شاعر إسلامي، لم تسلط الدراسات الضوء على شعره، ولم يحتل المكانة التي يحق له أن يحتلها، وسيرة هدية والمحنة التي عايشها، والمأساة التي ختمت بها حياته فضلاً عن شعره ومضامينه، وصوره الفنية، كل ذلك جدير بالنظر فيه، ودرسه وتقييمه.

سيرة هدية وشعر الخصومة:

يزخر تاريخ الأدب بحكايات تنسم بالجدة والطرافة، تعاونت عناصر التاريخ في تشكيل أحداثها، وتدخل خيال الرواة الخصب في نسج بعض وقائعها، وقد حازت هذه الحكايات على إعجاب الرواة، وحظيت بتقدير معاصريها، فسجلوها ورووها واستشهدوا ببعض أخبارها، وتناقلوها جيلاً بعد جيل، حتى صارت مصدرًا ثريًا من مصادر التاريخ الأدبي، يمكن للباحث أن يستغلها استغلالاً آخر غير دراسة أشعارها، وهو ذلك الجانب الإمتاعى الذى يتعلق بالحكاية وطريقة نسجها ومدى واقعيته ودور الخيال فيها، كما أن هذه الحكايات تعطى الكثير من الملامح النفسية لأشخاص بأعيانهم، كما تعطى بعض الضوء على جوانب خاصة بالمجتمع العربى. ومن هذه القصص أو السير التي لم ينل أصحابها حظهم في الدرس سيرة هدية، ومما يدل على تقدير معاصريها لها ما يرويه الأصفهاني في «الأغانى» نقلاً عن مصعب الزبيرى، حين قال:

« كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدية وزيناد وأشعارهما ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها»<sup>(١)</sup>. فمن هو هدية؟ وما حكايته؟ ولم اهتم به

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الجزء الواحد والعشرون

أهل البيوتات بالمدينة، وأهل العلم والأدب والمشتغلون بالرواية؟ وما أبرز صور العطاء الفني التي يمكن الوقوف عليها في حكاية هدية؟!.

صاحب الحكاية «هو هدية بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاه، كما أثبت نسبه هذا الأصفهاني<sup>(١)</sup>، ويضيف عليه البلاذري ابن عامر بن ثعلبة بن قره بن حبيش بن عمرو بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن زيد أخى عذره بن زيد»<sup>(٢)</sup>. وهو من عذرة ولذلك يلقب بالعذري<sup>(٣)</sup>. وأمه حية بيت أبي بكر بن أبي حية من أقاربه الأدين، وكان قوم هدية يسكنون بادية الحجاز، وقد انقسموا فريقين ذوى عصبيتين قويتين: بنى عامر بن عبد الله بن ذبيان ثم بنى رقاش بن قره بن حبيش بن عبد الله بن ذبيان، وقد كانت بين الفريقين حروب ومنازعات<sup>(٤)</sup>. وقد تناولت معاجم اللغة لفظ هدية وكلمة الخشرم بالتفسير كما أشارت هذه المعاجم إلى اسم الشاعر هدية وإلى بعض أشعاره وإلى حكايته.

أما عن شاعرية هدية فقد أشادت بها بعض مصادر الأدب، قال عنه الأصفهاني: «وهدية شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز وكان شاعراً راوية، كان يروى للحطيئة، والحطيئة يروى لكعب بن زهير، وكعب يروى لأبيه زهير، وكان جميل راوية هدية، وكثير راوية جميل، ولذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير»<sup>(٥)</sup>. ويصفه المرزباني في معجم الشعراء بأنه شاعر مُفلق كثير الأمثال في شعره<sup>(٦)</sup>، ويصفه التنوخي في الفرج بعد الشدة بأنه «شاعر فصيح، مرتجل، راوية»<sup>(٧)</sup> ويأخذ عنه الزركلي صاحب الأعلام<sup>(٨)</sup>، ويعيد الصفات ذاتها. وقد ندرت الدراسات الحديثة حول هدية وشعره وممن أشار إلى شعر هدية، د. عمر فروخ في تراجمه الأدبية، ووصفه بأنه «شاعر مطيل له قصيد ورجز، يرتجل بيسر، وأسلوبه بدوي، وفي شعره شيء من الضعف والغموض، إلى جانب قدر من الصنعة اللفظية، ولما دخل هدية السجن كثّر شعره وجاد، وأما فنونه فهي الهجاء والحماسة والغزل والحكمة»<sup>(٩)</sup>.

(١) الأغاني - ص ٢١١ - ص ٢٥٤.

(٢) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) - أنساب الأشراف - الجزء الرابع - القسم الثاني - ص ١٣٤.

(٣) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ص - ص ٦٩٥

(٤) د. عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخامسة -

١٩٨٤ - الجزء الأول - ص ٣٩٦.

(٥) الأغاني ج ٢١ ص ٢٥.

(٦) المرزباني - معجم الشعراء - ص ٤٨٣.

(٧) التنوخي - الفرج بعد الشدة ج ٥ - ص ٨٩.

(٨) د. عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٣٩٧.

(٩) د. عمر فروخ - تاريخ الأدب العربي - ج ١ ص ٣٩٧.

ويجمع د. يحيى الجبوري شعر هدية ويقدم له، ويصفه بأنه «من شعراء الصدر الأول، وأحد الشعراء الموصوفين بالجودة والإبداع، من مدرسة زهير وأوس بن حجر التي عرفت بتحسين الشعر وتجويده»<sup>(١)</sup>.

وقد اتفقت مصادر الأدب والتاريخ على حكاية هدية وعلى خبر مقتله، وعلى تفاصيل تلك الأزمة التي أثارَت الخصومة بينه وبين ابن عمه وأدت إلى حبسه ثم قتله. ومن العجيب أن هدية لم يُعرف في مصادر الأدب بغير حادثته، وبغير شعره الذي قاله في حبسه وساعة قتله، وكأن أزمة هدية هي التي جعلت منه شاعرًا، وكأن الخصومة التي دارت هي التي فجرت الشعر على لسانه، حتى الأخبار التي تروى عنه لم نجد فيها شيئًا يبعد عن خصومته وعن حكاية حبسه وقتله - فقد ضاعت أشعار هدية التي قالها قبل أزمته، وغلبت حكايته وعناصرها المؤثرة على بقية أخباره، ولعل قوة الأزمة وحدتها هي التي صبغت شعر هدية بلون جذب الرواة والنقاد إليه، وربما كان شعر هدية جديدًا في وقته، حين كان يتناول أمورًا لم يكن من المؤلفين النظم فيها بتلك الجودة. وكل هذه أمور قد تفسر لنا غياب أخبار هدية وأشعار هدية بعيدًا عن أزمته وحكاية حبسه ومقتله. ومن الأمور الملفتة للنظر أن الاتفاق كان سائدًا بين هذه المصادر على سبب الأزمة وعلى مجرى أحداثها، وأن الاختلاف بينها لم يكن جوهريًا، بل كان بسيطًا لا يتعدى بعض التفاصيل غير الدقيقة التي لا تغير جوهر الحدث الأصلي المشكل للأزمة، كما أن الأفاصيل أو تلفيق الرواة لم يحظ بالنصيب الذي كان يحظى به في مثل هذه الحكايات المفجعة، مع وجوده ولكنه وجود محدود. وقد اعتمدت المصادر الأدبية مع قتلها في سرد تفاصيل حكاية هدية على رواية الأصفهاني في الأغاني، وهي رواية موثقة كعادد أبي الفرج في نقل أخباره ويتخللها الشعر الذي قيل في بعض المواقف الخاصة بتفاصيل حكاية هدية.

ويذكر صاحب نوادر المخطوطات<sup>(٢)</sup>، وصاحب الشعر والشعراء<sup>(٣)</sup>، وصاحب أنساب الأشراف<sup>(٤)</sup>، ما ذكره الأصفهاني في هذا الشأن، في حين تغفل هذه المصادر تفاخر زيادة الذي كان سببًا في إثارة الضغائن، وترى هذه المصادر أن سبب القتال «أنها أقبلت من الشام في ناس من قومها، فقالوا: من يسوق بنا؟ فقال زيادة أنا أسوق بكم، فنزل فساق بهم ساعة، ثم ارتجز فقال معرضًا بأخت هدية، وكان يتعاقبان السوق بالإبل، وكان مع هدية أخته فاطمة:

(١) د. يحيى الجبوري - شعر هدية بن الحشرم العذري - دار القلم، الكويت - الثانية ١٩٨٦ ص ٥.

(٢) ابن حبيب البغدادي - كتاب أسناء المغتالين - الأشراف في الجاهلية والإسلامية وأسماء من قتل من الشعراء.

(٣) ابن قتيبة - الشعر والشعراء: ت: أحمد شاكر - دار التراث العربي للطباعة، ج ٢ ص ٦٩٥ - ٦٩٩.

(٤) البلاذري - ج ٤ ص ١٣٤ - ١٣٦.

عوجى علينا واربعى يا فاطما ما دون أن يرى البعير قائما  
ألا ترين الدمع منى ساحبا حذار حذار منك لن ثلاثا  
فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى أم حازم،  
وقال آخرون: أم القاسم، فقال هدبة:

لقد أرانى والغلام الحازما ترجى المطى ضمرا سواها  
إلى آخر الأبيات: «فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابا طويلاً، فصاح بهما القوم، أركبا فإننا  
قوم حجاج، وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه،  
وهدبة أشدهم حنقا، لأنه رأى أن زيادة قد ضايقه، إذ رجز بأخته وهى تسمع قوله، ورجز هو  
بأخته وهى غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتجاوزا بكلمة، حتى قضيا حججهما، ورجعا إلى  
عشيرتيهما» وتستمر المناوشات الكلامية بين الطرفين، مصاغة في قوالب الرجز، حتى أن هذه  
الخصومة قد نشطت شعر الرجز بين هدبة وقومه وبين زيادة وأنصاره، وكأنها نقائض بينها.  
ومن أطول القصائد التى قيلت في هذه الحرب الكلامية قصيدة لزيادة خصيم هدبة وأولها:

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا وقطعت حاجات الفؤاد فأصبحاً<sup>(١)</sup>

وهى قصيدة طويلة مكتملة من حيث جوانب البناء الفنى، وتتضح فيها روح التفاخر  
العربى، ونبرة الاستعلاء على الغير، ويعلو فيها صوت التحدى، وكأنه يوجه كلامه إلى هدبة ابن  
عمه، مما أثار حفيظته، وقد بدأ زيادة قصيدته بالفزل وحديث المرأة، ثم اقتخر بنفسه فخراً  
انتقل بعده إلى الفخر الجمعى بقومه وعشيرته، وما جاء في فخره قوله:

فما إن ترى فى الناس أما كأمننا ولا كأيننا حتى تنسبه أبا  
ملكنا ولم نملك وقدننا ولم نقد كأن لنا حقاً على الناس ترتبا

وتصل القصيدة إلى هدبة، فيجيب عليها بقصيدة أخرى من نظمه، تدخل بها فى باب  
النقائض، حيث حافظ على قالب القصيدة الأولى، قصيدة زيادة، وعلى بحرهما وقافيتها وروّهما،  
كما حول فخر زيادة إلى هجاء، وافتخر هدبة على زيادة واستعلى عليه، والتزم فى قصيدته البناء  
الفنى المحكم الذى يبعد به عن الارتجال والبديهة والرجز، فجاءت من أشعاره المعدة التى تفرغ  
الشاعر لنظمها، وقد بدأها بقوله:

تذكر شجوا من أميمة منصبا تليدا ومنتابا من الشوق محلباً<sup>(٢)</sup>  
تذكر حباً كان فى ميعة الصبا ووجداً بها بعد المشيب معتباً

(١) القصيدة كاملة فى الأغاني ج ٢١ ص ٢٦٠، ص ٢٦١

(٢) القصيدة كاملة فى مقر هدبة - ص ٦٤ - ص ٧٣

ويكتفى الأصفهاني بأبيات مختاره يرد بها هدية على زيادة بينما تصل القصيدة في ديوان هدية نقلاً عن منتهى الطلب إلى أربعة وخمسين بيتاً.

وتستمر المعركة بين هدية وزيادة، تصورها قصائدهما، يفخر أحدهما ويرد عليه الآخر يفحمه ويفند مزاعمه، حتى تصل المأساة إلى النهاية الدرامية المفجعة، فلم يزل هدية يطلب غرة زيادة حتى أصابها فقتله، وتنحى مخافة السلطان وكان على المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل إلى عم هدية وأهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدية ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخليص عمه وأهله، فلم يزل محبوباً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة، فأقامها. وتتدخل عذره، ويتصل رجالها وأكابرها بعبد الرحمن بن زيد أخو زيادة القتل وتسأله قبول الدية، ويرفض عبد الرحمن قبولها، وينظم عبد الرحمن هو الآخر شعراً، يعجب به ابن سريج، فيغنيه، ويختاره الأصفهاني ضمن مختارات أصواته، ومنه:

أنختم علينا لكل الحرب مرة      فنحن منيخوها عليكم بكل كل  
كريم أصابته ديات كثيرة      فلم يدر حتى حين من كل مدخل

ويذكر أن سعيد بن العاصى كره الحكم بينها، فحملها إلى معاوية، فنظر في القصة ثم ردها إلى سعيد، «وأما غيره فيذكر أن سعيداً هو الذى حكم بينها من غير أن يحملها إلى معاوية»<sup>(١)</sup>. وعندما اجتمع الطرفان المتخاصمان، في حضرة معاوية بدأ عبد الرحمن أخو زيادة عرض قضية أخيه القتل أمام معاوية قائلاً «يا أمير المؤمنين: أشكو إليك مظلمتى، وما دفعت إليه، وجرى على وعلى أهلى وقرباى، وقتل أخى زيادة، وترويع نسوتى، فقال له معاوية يا هدية قل: فقال إن هذا رجل شجاعة، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت، قال لا بل شعراً، فقال هديه ارتجالاً:

ألا يالقومى للنواب والدهر      وللمرء يردى نفسه وهو لا يدرى  
إلى أن قال:

رمينا فرامينا فصادف رمينا      منايا رجال فى كتاب وفى قدر  
فإن تك فى أموالنا لم نضق بها      ذرعاً، وإن صبر فنصبر للصبر<sup>(٢)</sup>

ويعتبر هدية بقتل زيادة، ويطلب دفع الدية، وإلا فليس أمامه إلا الصبر على المصير المحتوم. ويقول له معاوية: «أراك قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم يقول معاوية لعبد الرحمن هل لزيادة

(١) الأغاني - ج ٢١ - ص ٢٦٣.

(٢) الأغاني - ج ٢١ - ص ٢٦٤.

ولد؟ قال: نعم المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ، وأنا عمه وولى دم أبيه فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية، أو قتل الرجل بغير حق، والمسور أحق بدم أبيه فردّه إلى المدينة، فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور<sup>(١)</sup>. ويرسل هدية إلى عبد الرحمن وساطة أخرى، بعد أن بلغ المسور، فيغضب عبد الرحمن، ويقول شعراً جاء فيه:

سأكذب أقواماً يقولون: إننى سأخذ مالاً من دم أنا نائره

ويصل الخبر إلى هدية، فيقول: الآن آيست منه، ويذهب عبد الرحمن بالمسور، وقد بلغ إلى والى المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم. وتظهر بعض اغنراض الدرامية في خاتمة حكاية هدية، تصور شجاعة هدية، وتصور وفاء زوجته وصبرها، ويظل هدية شاعراً حتى آخر لحظاته، فقد قال شعراً في الخصومة، وقال شعراً في السجن، وقال شعراً لحظة مقتله.

وتضطرب الأخبار فيمن قتل هدية، هل هو عبد الرحمن أخو القتيل؟ أم المسور ابن القتيل، وتروى الحكاية أخباراً لا يصدقها عقل أو منطق، عندما يقول هدة قبيل مقتله: «بلغنى أن التلقيتل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فإنى قابض رجلى وباسطها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل». وقال قبل أن يقتل:

إن تقتلونى فى الحدى فإنى قتلت أخاكم مطلقاً لم يُقيّد

ويقول عبد الرحمن، والله لا أقتله إلا مطلقاً من وثاقه، فأطلق له، فقام إليه وهز سيفه، ثم قال:

قد علمت نفسى وأنت تعلمه لأقتلن اليوم من لا أرحمه

ثم قتله<sup>(٢)</sup>. وقيل: «إن الذى تولى قتله ابنه المسور، دفع إليه عمه السيف وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام، فضربه ضربتين قتله فيها»<sup>(٣)</sup>. ويذكر ابن قتيبة قول هدية «تفقدونى إذا ضربت عنقى، فإنى سأقبض يدى وأبسطها، فتفقدوه فأوه يفعل ذلك»<sup>(٤)</sup>. وينفى المبرد هذه الرواية، ويقول عنها «إنه حديث باطل موضوع»<sup>(٥)</sup>. وقد اتفقت معظم المصادر في الخطوط العريضة لحكاية هدية، واختلفت في تفاصيلها، وهو اختلاف طبيعى، ليس من شأنه التغيير في المقدمات أو النتائج، في قتل زيادة، وأن أصحاب الدم أخذوا بثأرهم من هدية وقتلوه، بعد أن

(١) الاغانى - ج ٢١ - ص ٢٦٤.

(٢) الأغانى ج ٢١ ص ٢٧٢.

(٣) الأغانى ج ٢١ ص ٢٧٢.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ج ٢ - ص ٦٩٥.

(٥) المبرد: الكامل فى اللغة والأدب ج ١ ص ١١.

بقي في الحبس سنوات حتى بلغ ابن زيادة رشده. ويمكن أن يقف دارسو سيرة هديبة على عدة استنتاجات، تجعل من قراءة خبر هديبة درسًا نافعًا من دروس الأدب التي تجمع بين الإقناع والإمتاع ومنها:

إن الحكاية في إظهارها الدرامي حكاية مفجعة محزنة مؤثرة، يمكن استغلالها روائياً أو مسرحياً، فالفكرة ناضجة تامة مستوفية شروط الكتابة، مما يدل على أن أخبار الأدباء تزخر بالكثير من هذه الحكايات التي تعد مادة دسمة للدراما العربية، تؤكد ثراء المصدر في العصور البكر، ومنها خبر طرفة ومقتله، والنابعة وهروبه، ومن قبلها خبر امرئ القيس واغتياله، وعلى بن الجهم وسجنه، وديك الجن وقتله جارية زوجته وظهور البراءة بعد ذلك، ونهاية المتنبي ونهاية ابن أبي الشخباء إلى آخر تلك الحكايات. والعقدة في حكاية هديبة ظاهرة، وهي انتظار هديبة القتل، وأبطال الرواية هديبة وزيادة والثانويون سعيد بن العاص، وعبد الرحمن، والمسور، وغيرهم، والمكان هو السجن وساحة القتل، والزمان محدد تاريخياً، والأحداث ساخنة متحركة غير تافهة أو سطحية، كل ذلك يجعل من حكاية هديبة قصة مكتملة فنياً ودرامياً.

الأمر الثاني اختلاف بعض روايات حكاية هديبة، وهذا أمر طبيعي، لاغرابية فيه، فقد جذبت الحكاية أنظار الرواة، فحفظوها ورووها واختلفت الرواة في بعض تفاصيلها، ولم يكن في جوهرها، ولكن الراوي تدخل بمزاجه الخاص وخياله الرحب، فأضاف بعض الجوانب التي تزيد من شوق المستمع، وتؤكد التأثير بالحديث المفجع. وهي تفاصيل تدور حول تأكيد عدة محاور فكرية أهمها، شجاعة هديبة وصبره، وجلده ساعة قتله، ووفاء زوجته وإخلاصها، وقد ظهر عمل القصص واضحاً في اختلاف الحوادث، وتصوير المواقف مثلما دار حول سعيد بن العاص أو معاوية وأبيها حكم في أمر هديبة، وحول من قتل هديبة؟ هل هو عبد الرحمن أم المسور؟ كما يظهر تلفيق القصص في خبر زقاق ابن واقف وسوق المدينة، فقد ظن أبو الفرج أنه خبر مصنوع «فليس بالمدينة زقاق يعرف بزقاق ابن واقف»<sup>(١)</sup> كما يبدو الوضع أيضاً في أمر زوجة هديبة ووفائها أو غدرها وزواجها بعده، كذلك الانتحال واضح في خبر حبي المدينة، كما لا يطمئن القارئ إلى ذلك الخبر الذي يروي أبو المغيرة محمد بن إسحق<sup>(٢)</sup>، وفيه: «بعث هديبة إلى عائشة زوج النبي ﷺ يقول لها: استغفري لي، فقالت إن قتلت أستغفر لك»<sup>(٣)</sup>. كما يبدو أيضاً - عمل القصص في ذلك الخبر الذي روي عن هديبة عند قتله، وهو أن القتل يعقل ساعة بعد قتله، وأنه سوف يمد يديه ويقبضها ثلاثاً، وفي رواية أخرى سوف يضرب بقدمه

(١) الأغاني - ج ٢١ - ص ٢٦٨.

(٢) ومن الرواة أبو مصعب الزبيري المنكدر بن محمد بن المنكدر

(٣) الأغاني ج ٢١ ص ٢٦٨.

الأرض ثلاثاً، وربما قال هدية هذا القول، ولكن الأخبار التي تؤكد أنه فعل ذلك بعد سقوط رأسه أخبار موضوعة وملفقة.. لقد لحقت بهذه الحكايات أخرى فرعية، قد يطلق عليها حكايات إضافية، وكأن حكاية هدية لم تمت بموته، بل ظل الرواة يضيفون إليها إضافات فرعية، ومنها غدر الزوجة بعدها الذي كانت قد قطعت على نفسها بعد قتله، فقد روى النوفلي عن أبيه قوله: «إني لفي بلادنا يوماً، فإذا أنا بامرأة تمشي أمامي وهي مدبرة، ولها خلق عجيب من عجز وهيئة وقام جسم، وكمال قامة، فإذا صبيان قد اكتفأها يشيان، قد ترعرا. فتقدمتها، والتفت إليها، فإذا هي أقبح منظر، وإذا هي مجدوعة الأنف، مقطوعة الشفتين، فسألت عنها، فقيل لي: هذه امرأة هدية، تزوجت بعده رجلاً، فأولدها هذين الصبيين<sup>(١)</sup>. فأين ما روى عن وفائها وجدع أنفها حتى أن صاحب تزيين الأسواق في أخبار العشاق يروى «أنها قطعت أذنبا أيضاً»<sup>(٢)</sup>. ثم كيف تتزوج بعد ذلك كله وتنجب أولاداً وكأنها لم تعد رمزاً للوفاء، بل أضحت قدوة في الغدر.

ويفرد صاحب أخبار العشاق فصلاً فيمن تعاهدوا على عدم الفراق، ثم نكث أحدهما عهد الآخر، ومنهم غير هدية وزوجه «صخر بن عمرو وأخو الخنساء، وقد عاهد سلمى على ألا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها، فكان يقول إذا نظر إليها، لا أكره الموت إلا أنه يفرق بيني وبين هذه ثم مات فتزوجت سلمى بعده»<sup>(٣)</sup>. وينحصر اهتمام دارس الأدب في أشعار هدية، ولولا تلك الأشعار ما كان للحكاية هدية أثر في تاريخ الأدب العربي، فما أكثر الحكايات التي رويت عن العرب! وما أكثر ما بها من طرائف، تدخل في إطارات أدبية أخرى، تتعلق بالقصة أو الخبر أو الرواية أو الموعظة والحكمة، ولكن خطورة الحكاية الأدبية تكمن في ارتباطها ببعض شعراء العربية خاصة عندما تزين الأشعار أخبارها.

\* \* \*

### شعر هدية في السجن وساعة القتل:

قضى هدية في حبسه مدة غير قليلة، اختلف الرواة في تحديدها، بين ثلاث سنوات أو خمس أو سبع وقيل ثمان، وفي الأغاني قول معاوية لعبد الرحمن أخو زيادة القتيل «المسور أحق بدم أبيه، فرد هدية إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور»<sup>(٤)</sup>. ويعتمد داود الأنطاكي صاحب تزيين الأسواق في أخبار العشاق رواية الأغاني، فيذكر قول معاوية عن هدية: «ردوه

(١) الأغاني ج ٢١ ص ٢٧٠، البغدادي - خزائن الأب ص ٨٦.

(٢) داود الأنطاكي - تزيين الأسواق في أخبار العشاق - دار مكتبة الهلال: بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٦

ج ١ ص ٣١٩ إلى ص ٣٥٠.

(٣) الأغاني ج ٢١ - ص ٢٦٤.

حتى يبلغ المسور، فحبس ثلاث سنين»<sup>(١)</sup>. كذلك يقول البغدادي في خزائن الأدب، فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور»<sup>(٢)</sup>. وقال الزركلي صاحب الأعلام «إن هدية بقي محبوباً ثلاث سنوات»<sup>(٣)</sup>. وأما أبو تمام في حماسته فيذكر «إن هدية قال في السجن أشعاراً كثيرة منها ما روى عنه، ومنها ما ذهب، فمكث هدية في السجن ما شاء الله أن يمكث، حتى أدرك المسور بن زيادة، وذلك خمس سنين أو ست سنين»<sup>(٤)</sup>. وأما ابن قتيبة فلم يحدد الحبس هدية زمنياً، واكتفى بقوله: «فلم يزل محبوباً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد، أخو زيادة إلى معاوية»<sup>(٥)</sup>. وكذلك قال البلاذري في أنساب الأشراف<sup>(٦)</sup>، وصاحب نوادر المخطوطات، الذي قال: «فحبس هدية حتى أدرك الغلام»<sup>(٧)</sup>. ويذكر ابن قيم الجوزية في أخبار النساء أن حبس هدية «استمر سبع سنين ينتظر به احتلام المسور بن زياد»<sup>(٨)</sup>. ويردد د. الجبوري صاحب شعر هدية رأى أبي تمام في تحديد مدة حبس هدية حين يقول «فمكث هدية في السجن ما شاء الله أن يمكث حتى أدرك المسور»<sup>(٩)</sup> ويذكر د. عمر فروخ أن هدية قضى في السجن ثلاث سنوات، وقيل خمس سنين أو ستاً، ولعله بقي في السجن إلى أيام مروان بن الحكم في ولايته الثانية على المدينة ٥٦ - ٥٧ هـ»<sup>(١٠)</sup>. ولا نعلم على أي المصادر اعتمد صاحب شعر السجن والأسر<sup>(١١)</sup>، حين ذكر أن هدية حبس ثمان سنين حتى بلغ ولي المقتول الحلم. والمدة التي قضاها هدية في سجنه ولعلها ثلاث سنوات حتى يبلغ المسو حلمه، وهي أقل المدد تحديداً ليست بالقصيرة فضلاً عن الجو النفسى وهو جو الحبس الذى قضى فيه الشاعر مدة حبسه مما جعل شعره في تلك الفترة، هو الشعر الذى احتفظ به، وحفظ وأنشد وروى، فقد روى صاحب الأغاني «كان هدية أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه وكان أهل البيوتات بالمدينة يحتفون بشعره وبحكايته».

ولقد كان للسجن في شعر هدية شأن عظيم، ولعل تلك المحنة التي لحقت بهدية وذلك المصير المحتوم الذى ينتظره، وتأرجح عواطفه بين الأمل والرجاء واليأس والقنوط. كل هذا جعل من

(١) تزيين الأسواق - ٣١٩.

(٢) خزائن الأدب - ص ٨٤ (٣) الأعلام ج ٩ ص ٦٩.

(٤) الحماسة - ١٢

(٥) الشعر والشعراء - ٦٩٦.

(٦) الأنساب - ١٣٥.

(٧) محمد بن حبيب - ٢٦٠

(٨) أشعار النساء - ١١٧.

(٩) شعر هدية - ١٦.

(١٠) تاريخ الأدب العربى ج ١ - ٣٩٧.

(١١) شعر الأسر والسجن - ٤٤٥.

شعر هدية في الحبس شعراً جديراً بالدرس والتحليل. ولما كان الحبس وحياة الشاعر في القيد مع السجان والظلمات، انتظاراً للمصير المحتوم، وتأرجح عاطفة الشاعر بين الأمل واليأس، والتظاهر بالصبر حتى لا يشمت العدو، هذه كلها أبرز مضامين شعر هدية في حبسه، وقد ترتب عليها وجود ألفاظ تطابق هذه المضامين، أو تؤدى هذه المعاني، حتى تدل المفردات على ما تحويه الفكرة وذلك فضلاً عن الصور التي نبعت من هذه الألفاظ والموسيقى التي تضىء الجو النفسى الذى يجعل الإحساس بالمعنى إحساساً إيمانياً جمالياً، ينبعث عن الإقناع الفكرى والإمتاع الجمالى. ويمكن لقارئ شعر هدية في الحبس أن يقف على أبرز مضامين هذا الشعر ومنها:

- وصف السجن والسجان والقيود والشرفات العالية.
  - تصوير الأمل في انفراج الأزمة والخروج إلى الحياة الحرة الكريمة.
  - حديث الشاعر عن المرأة وذكرياته مع زوجته وتصوير حنينه إلى الأهل.
  - الخوف من شماتة الأعداء وشكوى الدهر وشعر الحكمة والرؤية الخاصة للحياة.
  - الفخر بالنفس والاستعلاء على الحدث والتغنى بالصبر والإيمان بقضاء الله وقدره.
  - الاستغفار من الذنب، والتوبة إلى الله، وتوقع الموت والاستعداد للقاء الله.
  - شعر هدية ساعة خروجه إلى ساحة القتل.
- وكل هذه المضامين التي احتوى عليها شعر هدية في الحبس وساعة القتل، ترسم صورة جليلة لشخصية الشاعر هدية بن خشرم العذرى.

\* \* \*

### وصف السجن والسجان والقيود:

هناك سمة بارزة من سمات الشعراء المحبوسين، لأى سبب غير اللصوصية والصلعكة، وتكاد هذه السمة أن تكون عامة يشترك فيها جميع هذه الطوائف من الشعراء، ما داموا قد أدخلوا الحبس، وعاشوا فيه زمناً طويلاً مع القيد والسجان في الظلمات والضيق. وقد يختلف شعر هدية مع شعر هذه الطوائف من الشعراء المحبوسين في سمات فنية كثيرة، وقد يتفق معهم في بعض هذه المضامين ومنها وصف السجن والقيود.

وهذا الشعر الذى يصدر في الحبس يؤكد عدة اعتبارات فنية خاصة منها: أن الشعر يخلد التجربة ويجسدها نظماً، ويجعل الحركات والأوقات والأشياء التي يصورها الشعر ترتفع من صفة العبور والزوال إلى صفة البقاء والدوام ولو بصورة شكلية. ولولا الشعر والفن، لبادت وتلاشت،

« فالفن يخلد ولو نسبياً ما يصفه ويصوره من الأفعال والحركات والمشاعر والذكريات »<sup>(١)</sup>. وإن الشعر الذي يصور السجون والقيود إنما يصور مشاعر وتجارب إنسانية مريرة، ويصور جوانب من حياة بعض الناس، ويصف أحوالهم ونظم مجتمعاتهم، ويسجل إحساساتهم ويصور متاعبهم « الأمر الذي يشكل صفحة جديدة من صفحات لم تكن مألوفة من قبل، إنه تطور لموضوع لم يعالجه الشعر من قبل »<sup>(٢)</sup>.

ويؤدى الشعر في الحبس وظيفة للشاعر المحبوس، تكاد تنطبق على تلك التي تؤديها أغاني العمال في البناء أو أغاني الصيادين في البحر، حين تعمل الأغنية على تخفيف وطأة المعاناة، وتخفيف حدة قسوة العمل وخشونته، والتقليل من الإحساس بالغرابة ومرارتها، فأدى شعر الحبس مهمة تخفيف إحساس الشاعر بمرارة القيد وقسوة ظلمات السجن وجفوة معاملة السجن، واستطاع الشاعر المحبوس أن يصف الحبس والقيد والسجان شعراً، فخفف من بعض همومه وأشجانه المكبوتة. ويؤدى شعر الحبس كذلك دوراً اجتماعياً غير دوره الفنى، ففى تصوير السجن وذكور أسمائها ومواقعها ومواقعها وإفادته تعود على المؤرخ والباحث الاجتماعى، حين يقفا على نظام الدولة فى التعامل مع الخارجين على القانون، كما يصور الشعر قدرة الحكومة الأموية على السيطرة على العابثين، فلم يفلت من سطوتها خارج أو مارق أو قاتل. وقد أفاد معجم البلدان لياقوت وغيره من المعاجم فى تفسير أسماء بعض السجن التى وردت فى شعر هدبة، وفى شعره أمثاله من المحبوسين، فحدد المعجم المكان والوقت، وذكر بعضاً من الشعر وطرفاً من أخبار المحبوسين. ومن أشهر السجن التى ورد ذكرها فى شعر المحبوسين، سجن « كابل » وسجن « دوار » وهو سجن باليمامة، وقد قال فيه شعراء محبوسون شعراً، ومنهم مجدر ابن معاوية العلكى، وكذلك أبوالنشاش الميمى، ويعلى الأحوال الإشكرى، والخطيم العلكى.

وقد احتل وصف السجن مكاناً فى النثر، وأورد الراغب الأصفهاني صاحب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء<sup>(٣)</sup> أقوالاً لبعض من حبس من الكتاب، فقد كتب بعضهم على باب السجن: « هذه قبور الأحياء، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء وأمر بحبس ابن أبى علقمة فى دعوى، فقال دعنى آتى البيت لحاجة، فلم يترك فتمثل بقوله تعالى ﴿ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ وسمع الجمار محبوساً يقول: اللهم احفظنى، فقال: قل اللهم ضعنى، فإن حفظه لك أن يبيقك فيه، ودخل أحدهم السجن، فقال ما سلككم فى سقر، قالوا:

(١) د. عبد الكريم الباقى - دراسات فنية فى الأدب العربى - الأولى ١٩٦٣م، ص ٢٢٥.

(٢) د. مصطفى الشكعة - الأدب فى موكب الحضارة الإسلامية - كتاب الشعر - دار الكتاب اللبنانى -

بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٤.

(٣) الراغب - محاضرات الأدباء - المجلد الثانى - الجزء الثالث - ص ١٩٤.

لم نك من المصلين»<sup>(١)</sup>. كذلك رسمت بعض المصادر صورة ية للمحبوسين في سجونهم، وذكرت أخباراً تؤكد ما رواه المحبوسون في أشعارهم، وما صادفوه من عذاب، فقد خرج الحجاج يوماً إلى الجامع فسمع ضجة عظيمة فقال: ما هذا. قالوا: أهل السجن يضجون من الحر، فقال قولوا لهم أخسثوا فيها ولا تكلمون، وقد وجد في حبس الحجاج مائة ألف وأربعة عشر لف رجل، وعشرون ألف امرأة «وكان حبس الرجال والنساء في مكان واحد، ولم يكن في حبسه سقف ولا ظل، وربما كان الرجل يستتر بيده من الشمس فيرميه الحرس بالحجر، وكان أكثرهم مقرنين في السلاسل، وكانوا يسقون الزعاف، ويطعمون الشعير المخلوط بالرماد»<sup>(٢)</sup>.

ويصف هدية بن الخشرم السجن ومما جاء في وصفه قوله:

فإننا قد حللنا دار بلوى فتخططنا المنايا أو تصيب<sup>(٣)</sup>

ويريد الشاعر بدار البلوى السجن، وتبدو سمات الصورة الفنية في وصف السجن عند هدية في مثل قوله:

إنى عدانى أن أزورك محكم حديد ومرصوص مشيد وجندل  
متى ما أحرك فيه ساقى يصخب له شرفات مرقب فوق مرقب  
يخبى تراعه بين حلقة أزوم إذا عضت وكبل مضب<sup>(٤)</sup>

والشاعر هدية يبث مشاعره الحزينة في الأبيات الثلاثة السابقة، واستطاع أن يصور أزمته النفسية، فهو يعبر عن السبب الذى منعه من زيارة الحبيب، وهو القيد الذى يعوق حركته، وهو قيد محكم مصنوع من الحديد الموصوص، كما أن السجن له شرفات يعلوها حراس، يراقبون حركة السجناء، كما أن الحراس يقظون لا يغفلون عنه ويرقبونه. وهدية يجمع في الأبيات عدة مضامين طاف حولها الشعراء السجناء، وعبروا عنها في مقطوعات كثيرة، وأفلح هدية في الجمع بين القيد والحبس والسجان، عاونه في ذلك اللفظ الذى يعبر عن معنى القيد والجندل أبلغ تعبير، فاختار المفردات التى توحى بالقيد ومنها «المحكم والحديد المرصوص، والجندل المشيد، والحلقة الأزوم، والكبل المضب». وكل لفظة أو تركيب لفظى كفيلى بأن يعطى لصورة القيد والسجن كل ما يصبو الشاعر إلى بلوغه. وبجانب اللفظ الذى يوحى بالقيد، والتركيب الذى يعبر عن الحبس، والصورة التى تصف السجن والسجان، كانت تلك الموسيقى الحارة الجادة الرصينة، التى تعبر هى الأخرى عن صورة القيد والسجن، ولم يكن هدية ينسج صورته من الخيال، أو يأتى

(١) محاضرات: ج٣ ص ١٩٥.

(٢) المرجع السابق - نفس الصفحة.

(٣) شعر هدية بن الخشرم العذرى - د. يحيى الجبورى - دار القلم الكويت ص ٦٠.

(٤) شعر هدية ص ٧٦.

بألفاظ لينة لا توحى بشدة الحبس وضاوته، حتى جمع في تصويره للسجن والسجان بين قسوة المعنى وشدة اللفظ وخشونة الجرس الموسيقي، مما وفر لتعبيره معظم عناصر التصوير الفني الملائم لصورة السجن.

وكان هدبة أبلغ من غيره في تصويره للسجن، ولعل تلك البلاغة ترجع إلى طبيعة المحنة التي ألفت به في غياهب السجن، وترجع إلى طبيعة الشاعر المحب للحياة وللزوجة وللأهل، وترجع - أيضاً - إلى الحيرة التي لازمتها فجعلته لا يعرف المصير المنتظر بين الأمل واليأس. والشعراء السجناء يصفون القيد والسجن والسجان وقلما يجمعون بين هذه الأطر الثلاثة في موضع واحد، فكانوا تارة يصفون القيد، وأخرى يصفون السجن، وثالثة يصفون السجان، أما هدبة فقد استطاع أن يجمع بين الثلاثة في آن واحد.

ويشتد هدبة في تصويره للقيد، كأن كل لفظة قيد هي الأخرى، مثلما جاء في قوله يصف اللقاء مع زوجته، وهو في قيوده في حبسه:

رأت ساعدي غولٍ وتحت ثيابه      جأجئٌ يدمى حدها والمراقف  
وقد شتزت أم الصبيين إن رأته      أسيراً بساقيه ندوب نواسف  
فإن تنكرى صوت الحديد ومشيته      فإني بما يأتي به الله عارف<sup>(١)</sup>

وألفاظ هدبة تدمى، حتى كأنها تأكل لحم الساق من قسوة القيد، وهدبة حين يصف قيده يذكر زوجه، فيصف جزعها لرؤية القيد، وكأنه لا يجزع بل يجعل الجزع على لسان محبيه، حتى يبقى جلدًا كما أراد لنفسه أن تكون كذلك حتى ساعة قتله.

إن وصف هدبة للسجن، وللقيد، وللسجان من أبرز مضامين شعره في الحبس، ولعل تصوير هدبة لهذه الأمور جاء أسبق من تصويره لمشاعر أخرى، فقد أخذ الشاعر حين صدم بتلك الصورة المظلمة التي لم يكن يعرفها من قبل، فملكت صورة السجن على الشاعر حسه وعاطفته، فبدأ يصورها قبل أن يفرغ لنفسه، ليصور شوقه إلى الحرية وحنينه إلى الزوج والأهل، ليفرغ بعد ذلك إلى مرحلاً أخرى أو مرحلة ثالثة من تلك المراحل، وهي مرحلة التوبة والاستغفار والإيمان بقضاء الله والرضا بقدره، فانطلقت الحكمة تجرى على لسانه، إلى أن وصل الشاعر بشعره حتى نهاية المطاف، ومواجهة المصير المحتوم، فأخرج من سجنه ليقول وليقول شعراً في تلك الحال أيضاً، صور في ذلك صلابته وجلده وتماسكه. وقد أسهمت الألفاظ في تصوير كل مرحلة قائمة من هذه المراحل، فكانت ألفاظ صورة السجن والسجان والقيد توحى بذلك، وكانت الصور قائمة هي الأخرى تصور الظلام والقيد. وإذا ما انتقل الشاعر إلى أفكار أخرى

(١) شعر هدبة ١٢٨، ١٢٩.

في حبسه كانت المفردات والتركيب والصور تتفق وتعبير الشاعر عن تلك المرحلة، من المراحل الفكرية التي مر بها شعر هدية بن الحشرم في الحبس.

### الحنين إلى الحرية، وذكرى الزوج والأهل:

لم ينس الشاعر هدية الحياة الحرة الكريمة في سجنه، ولم ينس أهله وزوجه، بل عمل الحبس على تكثيف إحساس الشاعر، وازدياد الرغبة إلى الحياة والأهل والحرية، فزاد الشوق إلى الزوج، وإن كان لذلك محبا قبل أن يجبس، فقد ازداد هدية وهماً وتعلقاً وتشوقاً إلى ذلك كله في حبسه، وقد يسعد الأدب بمحنة الأديب، وقد أسهم الحبس في إذكاء شاعرية هدية، وجعل منه شاعراً كما قالت بعض الآراء لمعاصريه وذكرها الأصفهاني في أغانيه. إن الإحساس بالقيود والحبس والحرمان من الحرية والحياة والأهل والأصدقاء والزوج، جعل الشاعر يخلو إلى نفسه، فيصور حنينه إلى الحرية، وذكر زوجه وأهله، ويمكن اعتبار ذلك الإطار الثاني من الأطر العاطفية التي مر بها شعر هدية في الحبس، وقد كان الإطار الأول يدور حول الوصف التجريدي للقيود والحبس، فجاء هذا الإطار أكثر عاطفية وشاعرية وحساً أرق وتعبيراً لا يعرف الكذب. ويتحدث هدية عن الزوجة، ويتذكر الماضي، ويحلم بالزيارة، فتزوره، ويعطى هدية لشعره في تلك المرحلة أبعاداً فنية تعتمد على جناحين أساسيين هما جمال الفكرة وحساسية اللفظية التي تصاغ فيها الفكرة، مستعينا بالصورة الموحية. ويعدّ الحنين إلى الحرية وتذكر الأهل والديار من أروع مضامين شعر الحبس عند هدية، لأن هذا المضمون يتسم بالوجدانية، والشاعر دوماً شديد الحنيلزوج و لديار أهله، دائم الذكرى لذلك كله، فهو غريب كتبت عليه الغربة والحرمان، وليس أمامه غير ذكريات ماضيه الجميلة، فيمدّ يده في جعبة الماضي ويخرج منها ما يجدد الشوق، ويحيى الشعور، لعله بهذا ينسى أو يحاول التسلى في محنته. وهُدبة يتذكر زوجته في حبسه، ويظل ذاكرًا لها حتى حين مقتله، فيقول عند دخوله الحبس:

ولما دخلت السجن يا أم مالك      ذكرتك والأطراف في حلق سمر  
وعند سعيد غير أن لم أبح به      ذكرتك أن الأمر يذكر بالأمر<sup>(١)</sup>

وسئل هدية عن قوله هذا، فقال: «لما رأيت نفر سعيد، وكان حسن الثغر جدًّا، ذكرت به نغرها»<sup>(٢)</sup>. ويستعيد ذكرى الحب، وهو في حبسه، فيقول في هذا المعنى:

تذكرت حبًّا كان في ميعة الصبا      ووجدًا بها بعد المشيب معقبا  
إذا كان ينساها تردد حبها      فيالك قد غنى الفؤاد وعذبا

(١) شعر هدية/ ١٠٦ (سعيد هو سعيد بن العاصي وإلى المدينة).

(٢) المبرد الكامل - ج ٢ - ص ٣٧٥.

فأصبح باقى الود بينى وبينها رجاء على يأس وظنا مغيباً<sup>(١)</sup>

وغزل هدية فى الحبس غزل البداة التقليدين، تفوح منه رائحة العفة والطهر، ويقوم على الذكرى، يجمع فيه بين حديث النفس والبوح بما فى داخله، ليخفف عن نفسه وطأة الأزمة، والشاعر عندما يجرم الحرية «يحن إلى قيم مظاهر استقرت فى خاطره منذ أن كان صغيراً، فيناجى هومره، ويجتر ذكرياته، ويبدى الحنين إلى الديار والقفار والأودية والمنازل»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن لقاء هدية بزوجه فى السجن كان أمراً غير عادى، ويبدو أنه تم فى أيام الشاعر الأخيرة وقبيل قتله، وكان أصحاب السجن يحققون للسجين قبل قتله رغبته التى يحلم بها وكانت لقاء الزوجة. ويف ارتياح الزوجة لسوء حاله، فيقول مصوراً ذلك:

وأدنيتهنى حتى إذا ما جعلتنى لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف  
فإن شئت والله انصرفت وإننى من أن لا تدنبنى بعد هذا لخائف  
رأت ساعدى غول وتحت ثيابه جآجىء يدمى حدها وقرائف<sup>(٣)</sup>

وتشكل صورة الطيف ملمحاً من ملامح صورة المرأة فى سجن هدية، والطيف يعرض فقدان المحبوب، والشاعر يشناق إلى اللقاء، ويرغب فيه ويحلم بصاحبته، ويتمنى الاجتماع بها ويأمل أن يراها فى أحلام نومه، فيزوره طيفها من أرض أهلها فى غضبان<sup>(٤)</sup>.

والعجيب فى شعر هدية فى سجنه عن المرأة، أنه يسليها ويواسيها وكأنما كان الشاعر أقوى منها، فيأمل ألا تجزع لموته، ويوصيها وصية المحب الغيور، الذى يأنف أن يعقبه على زوجته غيره فيقول لها موصياً:

أقل على اللوم يا أم بوزعا ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا  
فأوصيك إن فارقتى أم عامر وبعض الوصايا فى أماكن تنفعا  
ولا تنكحى إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا  
من القوم ذا لونين وسع بطنه ولكن أذيا حلمه ما توسعا<sup>(٥)</sup>

(١) شعر هدية/ ٦٥.

(٢) د. الشكعة رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية عالم الكتب بيروت ١٩٧٩ ص ٣٢٢.

(٣) شعر هدية/ ١٢٨.

(٤) يراجع كتابنا صورة المرأة فى الشعر العباسى - ط دار المعارف ١٩٨٣ الفصل الخاص بطيف الخيال.

(٥) شعر هدية ١١٣ - ١١٧ (الفحم أسيل الشعر) النزاع: انحسار مقدم شعر الرأس، أذيا: شديد الأذى

ضعيف الصدر.

ويتذكر هدية زوجه في حبسه، ويصف تباريح الهوى في فؤاده، ويعترف بأنه لم يحب غيرها. وقد جمع هدية في غزله في الحبس كل سمات الغزل العذرى البدوى في النقاء والصفاء والوفاء، وأعاد إلى الغزل الجاهى العفيف سابق سيرته الأولى، فأق بالصور من البادية، وجاءت الألفاظ بعيدة عن الليونة والركاكة، فكانت عاطفته عاطفة الرجال الأقوياء المخلصين، المؤمنين بالتفرد في الحب، فلا يستبدل بالعاشقة بديلاً، ويظل هدية يذكر زوجه في محنته، ويحلم بها ويتخيلها، ويقرنها بصورة الحارس الذى يسبّه ويغضبه، ويتتبع حركته ويرقبه، فيربط بين ذكرى الزوجة وصورة الحارس في قوله:

لعمري لئن أسيت في السجن عانياً      على رقيب حارس متقوّف  
إذا سبني أغضيتُ بعد حمية      وقد يصبر المرء الكريم فيعرف  
لقد كنت صعباً ما ترام مقادق      إذا معشر سيموا الهوان فأحنقوا

وهدية في تصويره للمرأة في الحبس من أنصار الانفرم وعدم تعدد الحبيبات، فإن خلقه يتنافى مع التعدد، وإذا كانت ثمة أسماء مختلفة أو كنى متعددة فهي جميعها لواحدة فقط هي زوجه هدية العذرى. وألفاظ لوحة المرأة تغلب عليها البداوة، ومنها «رداح» وهي المرأة الممتلئة وكان العرب يفضلونها كما جاء في شعر الجاهليين، وكذلك «المرط» و «الوشاح» والمرط كساء من صوف أو قز يُؤتزر به، والوشاح من حلى النساء المتخذ من لؤلؤ وجوهر معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح به المرأة وتشده بين عاتقها.

كذلك الثنايا والقرقف والشمول والمسك وجون المناكب وماء المزن، والحرقف والأنيقة وأعطاف القميص إلى آخر تلك الأوصاف والألفاظ التي استمدت من البادية، ومن معجم شعراء الغزل العذريين. أما عن الصور التي رسم بها هدية المرأة في حبسه، فهي صور بدوية هي الأخرى، تقوم على التشبيه، وتتجنب الاستعارات الملفة، وتتجافى عن المجاز الذى يحتاج إلى جهد فكرى فى تأويله، وهي صور بسيطة مألوفة قريبة من متناول خيال الشاعر ويد معاصره ومنها قوله:

ومنشوق أعطاف قميص كأنه      صقيل بدا من خلة الجفر مرهف<sup>(١)</sup>

ويعطى هدية لحديثه عن المرأة شكل القصيدة التقليدى، يبدوها بالوقوف على الظل، ويعترف على ديار المحبوبة، وينسب الشوق إلى صاحبتة، ولا يجعل هواه مباحاً فلا يتحدث عن الحبيب المجهول، بل يربط الذكري والشوق بالزوجة التي حرم منها، ويستعيد الشاعر ذكرياته معها، وهي ذكريات تتسم بالصراحة والواقعية، وهو أحياناً يغضب معها، ويعاتبها ثم يسترضيها،

(١) شعر هدية / ص ١٢٢.

فيعود الصفو أقوى مما كان عليه. وهديبة في حديثه مع المرأة حديث الذكريات التي تنسيه عذاب الحبس وخشونة القيد وغلظة الحارس. يقول هديبة:

أنتكر رسم السدار أم أنت عارف      ألا لا بل العرفان فالدمع ذارف  
إلى أن يقول:

إذا نزوات الحب أحدثن بيننا      عتاباً تراضينا وعادب العواطف  
وكل حديث النفس ما لم ألقها      رجيعٌ ومما حدثتك طرائف<sup>(١)</sup>  
ويفتح هديبة قصيدة له أخرى بما كان الجاهليون يستفتحون به قصائدهم عادة، ويذكر اسم  
زوجه أم عمرو في بدايتها، مشيراً إلى تبدل الأهل وتغير المكان:

عفا ذو الغضا من أم عمرو فأقفرا      وغيره بعد البلى فتغيرا  
وَبَدَّلَ أَهْلًا غَيْرَهَا وَتَبَدَّلَتْ      به بَدَلًا مَبْدئٌ سِوَاهُ وَمَحْضُرًا<sup>(٢)</sup>  
وشعر هديبة في المرأة خلال حبسه، يأتي غالباً على هيئة القصيدة بل المطولة أحياناً، وقد  
بلغت عضها ما يربو على السبعين بيتاً، وكان هديبة يولّي مطالع قصائده هذه عناية فنة خاصة،  
فكان ينسج على منوال القدماء ويوظف اللفظة الجزلة والصورة المألوفة من معالم البيئة البدوية.  
وكانت مطالعه توحى بالهم والحسرة، ولكنها مطالع جزلة حازت رضا القدماء، فوضعه في مصاف  
الشعراء المرموقين. وقد استغل الشاعر مكونات البادية، واستخدما في التعبير عن عواطفه،  
فيطلب من الرياح أن تبلغ الزوجة المحبوبة كوامن شجونه، فيقول:

ألا ليت الرياح مسخرات      بحاجتنا تباكر أو تؤوب  
فتخبرنا الشمال إذا أتتنا      وتخبر أهلنا عنا الجنوب<sup>(٣)</sup>  
والشاعر يطلب من ريح الشمال التي تهب من ناحية المحبوب أن تطمننه عن أهله، ويطلب  
من ريح الجنوب التي تهب من ناحية نجد أن تخبر أهله بما هو فيه.

\* \* \*

مرحلة التوبة والاستغفار:

المرحلة الثالثة من المراحل التي مرّ بها تعبير هديبة عن محنته في حبسه هي مرحلة التوبة  
والاستغفار، وهي مرحلة تعد تالية لتصويره للحبس والقيد والسجان، ولتعبيره عن حبه لزوجه

(١) شعر هديبة / ١٢٤ - ١٣٥.

(٢) شعر هديبة ٩٢ (ذو النصف موضع، والغضا أرض في ديار بني كلاب).

(٣) شعر هديبة ج١ - ٦٠.

وشوقه إلى أهله. وهذه المرحلة تشكّلها عدة أطر فنية، تدور حول مضامين أساسية تنحصر في تصوير الشاعر لحالاته النفسية، التي كانت تتأرجح بين الأمل في انفراج الكربة، وبين اليأس والقنوط وتوقع المصير المحتوم وهو القتل. وتبدو فيها بعض الملامح الفكرية، ومنها التغني بالصبر كوسيلة للشاعر يخفف بها عن نفسه، مما يقتضى إعلانه الإيمان بالله سبحانه وتعالى والاعتراف بذنبيه، والتوبة منه، والاستغفار لله عما ارتكب، ويعلو ذلك كله حكمة تجرى على لسان الشاعر، تجسد التجربة، وتجسم المعاناة، وتخلص إلى رؤية خاصة بالشاعر في الحياة والأحياء. وإذا كان لنا أن نعتبر مرحلة وصف القيد والسجج والسجان، هي المرحلة الوصفية المباشرة، ومرحلة الحديث عن الزوجة والشوق إلى الأهل هي المرحلة العاطفية الوجدانية، فإن تلك المرحلة وهي التوبة والاستغفار والإيمان هي التي تمثل الاتجاه الإيماني العقلاني في شعر هدية في الحبس، فقد بدأ الشاعر يخاطب العقل، ويصدر الرأي عن الفكر، ويستمد الرؤية من التجربة والمعاناة الصادقة، وكذلك أكسب ذلك الاتجاه شعر هدية ذيوغاً وانتشاراً لما يحمله في طياته من نفحات إيمانية تحفظ وتروى ويستشهد بها. أما عن أول تلك المضامين التي تشملها هذه المرحلة الثالثة فهو تصوير الأمل في الفرج، ويعبر الشاعر عن هذا الأمل في تعبير صادق ظهر في قوله:

عسى الكربُ الذي أمسيت فيه      يكون وراءه فرج قريب<sup>(١)</sup>  
 فيأمن خائف ويُفكُّ عان      ويأتي أهله النائي الغريب

والشاعر يطمع في فرج الله القريب لهذا الكرب الذي أمسى فيه، حتى يشعر الخائف بالأمان ويفك المكبّل، ويرجع الغريب إلى أهله وبلده. والشاعر يصدر في تعبيره عن تجربته الخاصة، بما يضيف على القول حرارة الصدق، فهو شاعر ليس بواعظ أو فقيه ينصح الآخرين، إنما يعبر عن حاله، وعندما ينسحب القول على تجارب الغير يحظى بالإعجاب، ويستشهد بالقول، كما هو الحال في الإشادة بالبيتين السابقين في معظم المصادر، وقد استشهد بالبيتين التنوخي صاحب الفرج بعد الشدة، وقد صاغ الشاعر أبياته من التجربة، وقد أشارت أمه إلى تلك المرحلة وهي مرحلة الأمل في انفراج الكربة، تخاطب أهل المدينة تحطّب ودهم في إكرام ذلك الأسير الغريب، الذي كان مكرماً وسط أهله، فقالت:

أيا إخوتي أهل المدينة أكرموا      أسيركم إن الأسير كريم<sup>(٢)</sup>  
 ويظل هدية السجين الغريب، يتلمس الأمل من حوله، ويظل متماسكاً لا يعرف اليأس، فإذا كان صدر هذا اليوم وليّ فإن غداً لناظره قريب.

(١) شعر هدية / ٥٩، ويأتي البيت شاهداً في كتب النحاة على حذف إن من خير عسى.

(٢) الأغاني ٢١ - ٢٨٨.

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غدا لناظره قريب<sup>(١)</sup>  
وتوزعت نفس هدية بين الأمل والقنوط، وقد استند في أمله على المحاولات التي بيدها  
الأهل والأصدقاء، حتى يقبل ولّى الدّم الدية، فيفرج عن هدية، وتشفعت له القبائل، وكانت  
الشفاعة ظاهرة معروفة في العصر الأموي، «فكان حشد العشيرة يجتمع ويخرج أتباع من  
السجن عنوة أو بالتوسط والوجهة، وكان السجين يلوذ ببعض كبار الناس من زعماء القبائل،  
أو ذوى الوجهة العلمية أو الدينية المرموقة، فيسألهم الشفاعة لدى السلطة، وكانت شفاعة  
بعضهم لا ترد»<sup>(٢)</sup>. وفي الفرج بعد الشدة إرشادات تؤكد تحطيم أبواب السجون في بعض  
فترات الحكم العربي لإخراج من فيها<sup>(٣)</sup>. وكان بعض الشعراء من المحبوسين يهرب، والآخر  
يستعطف، والثالث يصبر على كربه فيبقى في سجنه ينتظر مصيره المحتوم، ويقول الراغب  
الأصفهاني في محاضرات الأدباء إن الكميت الشاعر الأموي قد هرب من سجن بني أمية<sup>(٤)</sup>.  
والخطيئة من الشعراء الذي توسلوا واستعطفوا حتى خرجوا من سجنهم، وأبياته إلى عمر بن  
الخطاب يستعطفه فيها معروفة:

ماذا نقول لأفراخ بذي مرخ زُغِبُ الحواصل لا ماء ولا شجرُ  
ألقىت كاسيهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلامُ الله يا عمر<sup>(٥)</sup>

واستطاع بعض الشعراء السجناء أن يستخدم الحكمة وبلاغة القول في استعطاف قلب  
المسئول، حتى تتحقق له الحرية، وقد أشار الأصفهاني في محاضراته إلى بعض هذه المواقف.  
والشاعر هدية لم يهرب ولم يحاول، ولم يتذلل، والمعروف أنه ذهب وسلّم نفسه، وأطلق سراح  
أهله، الذين أودعوا الحبس بدلاً عنه، وكان يستند في أمله على تلك الوساطة التي بذلت من  
أجله كشاعر للقبيلة. وشعر هدية في هذه المرحلة يشير إلى بعض نظم العصر الذي عاشه «فقد  
دخلت في الحياة العربية لهذا العصر نظم القود والقصاص والحدود مما شرعه الإسلام. فلم يكن  
في العصر الجاهلي سلطان يخضع للقانون أو الشريعة، والديات أمر معروف من قبل الإسلام،  
وأمل الشاعر في الحرية استند على قبول الدية، وقد زاد الشفعاء الديات إلى عشر أمثالها،  
يرغبون ولّى الدم في العفو عن هدية، فأبى إلا القود»<sup>(٦)</sup>.

(١) شعر هدية ٦٠ والبيت في شرح قواعد المعنى وأن يك لناظره بالرفع.

(٢) البزرة - شعر الأسر ص ١٤٣.

(٣) التنوخي - الفرج بعد الشدة ٣/١٣٠.

(٤) السابق ج ٣ ١٩٧.

(٥) محاضرات الأدباء ٣/١٨٩.

(٦) د. شوقي ضيف - التطور والتجديد في الشعر الأموي - المعارف ١٩٨١ ص ٣٣٣.

وكان أهل المدينة قد رقوا هدية لوفاته ولشتره، ولأنه أول مسجون رأوه في المدينة بعد زمن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، والشاعر في مرحلة الوساطة يحذوه الأمل، ولم يشعر باليأس إلا بعد رفض الهدية، فقال:

وبعض رجاء المرء ما ليس نائلا غناء وبعض اليأس أعفى وأروح<sup>(٢)</sup>  
وعندما يفقد الأمل يبدى فزعاً، بل يتغنى بالصبر ويستغفر عن الذنب، ويتوب إلى ربه مؤمناً بقضائه وقدره.

ومن مضامين تلك المرحلة غير الأمل أو اليأس الصبر والإيمان والتوبة، أما ما قاله هدية توسلاً بالصبر ليتحمل أزمته فقد جاء منه:

صبور على مكروه ما يجشم الفتى ومرّاً إذا يبغى المرارة مُمعراً  
رُزينا فلم نعثر لوقعته بنا ولو كان من حَيّ سوانا لأعثراً<sup>(٣)</sup>

ويظل هديه متماسكاً حتى خطابه لأمير المؤمنين، لا يتوسل إلي، وإنما يحدثه حديث الواعي اليقظ الذي يعرف الأمر من جميع جوانبه، وإن لم يكن أمام الشاعر غير القتل فليس أمامه إلا الصبر، ويجمع هدية كل هذه المصائر معترفاً بالجريمة عارضاً ألوان الحلول الممكنة، فيقول:

رمينا فرامينا فصادف سهمنا منية نفس في كتاب وفي قدر  
وأنت أمير المؤمنين فما لنا وراءك من معدى ولا عنك من قصر  
فان تك في أموالنا لا نضيق بها ذرعاً وإن صبر فنصير للصبر  
وإن يك قتل لا أبا لك نصطير على القتل إنا في الحروب ألو صبر<sup>(٤)</sup>

والصبر عند هدية صبر الشجعان الأقوياء، وهو العلاج الروحي الذي يخفف به عن نفسه شدة وقع الذنب، والشاعر يعزو ما ارتكبه إلى القضاء والقدر، وهذا يؤكد إيمانه بالقضاء والقدر، ويصور تنصل الشاعر من المسؤولية، وإلقاء التبعة على القدر فهو المسئول عما حدث، فقد عزا هدية بن الحشرم ما ارتكبه من أعمال العنف والقتل إلى القضاء والقدر، «وبذلك يجد الذريعة للتوصل من المسؤولية الشخصية في اعتراف الأخطاء، أو هو يقنع نفسه بذلك على الأقل»<sup>(٥)</sup>.

(١) شعر هدية/ ١٦.

(٢) شعر هدية/ ٨٨.

(٣) عن رفض الديات يراجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ١٣٥، والشعر والشعراء ج ٢

ص ٦٩٧، وحماصة أبي تمام ص ١٦، ونوادير المخطوطات ص ٥٩، ٢٦٠.

(٤) شعر هدية ١٠٤ - ١٠٥.

(٥) البزرة - شعره ص ٤٦٧.

والشعراء المحبسون في حاجة إلى التماس المبررات التي تخفف عنهم الإحساس بالذنب، فيؤمنون بالقدر ويتغنون به، ويجمع الجاحظ في «المحاسن والأضداد» المنسوب إليه أقوالاً في الصبر على الحبس<sup>(١)</sup>.

ومن المضامين الفكرية غير الصبر عند هدبة الإيمان بقضاء الله وقدره، وقد ورد ذلك المعنى في بعض شعر هدبة في الحبس مثل قوله:

رُمينا فرامينا فصادف سهمنا منية نفس في كتاب وفي قدر<sup>(٢)</sup>

ويجمع هدبة بين الصبر والإيمان بالقضاء والقدر في قوله ساعة القتل:

أصبرا اليوم فإني صابراً كل حى لقضاءٍ وقدر<sup>(٣)</sup>

ويرى هدبة أن التقوى خير متاع الإنسان، فيقول:

وأن التقى خير المتاع وإنما نصيب الفتى من ماله ما تمتعا<sup>(٤)</sup>

ويرضى بقضاء الله وقدره، فيقول:

وإن يك أمر غير ذلك فإني لراضٍ بقدر الله للحق عارف<sup>(٥)</sup>

والتوبة مرحلة النقاء حيث يتخلص الشاعر من أدران الحياة، وخلصت نفسه من الحقد والانتقام، وأضحت الحقيقة واضحة جلية، والتوبة مبعثها الخوف من عقاب الله لا من عذاب الدنيا، وفي منتهى الطلب في أشعار العرب<sup>(٦)</sup> أشعار كثيرة لشعراء ارتكبوا جرماً في حياتهم، وظلوا يناجون ربهم تائبين مستغفرين، ومنهم عبيد بن أيوب العنبري، وجحدر بن معاوية العكلى، وأبي خراش الهذلي، ومالك بن الريب، ويزيد بن الصقيل العقيلي، وغيرهم كثيرون.

\*\*\*

الحكمة عند هدبة:

التوبة موضوع بارز من موضوعات الشعر العربي، وتختلف من حالة إلى حالة، فتوبة الشاعر عن الخمر، أو عن النساء تختلف عن التوبة عن جريمة قتل، وذلك بطبيعة الحال يؤثر في التشكيل الفني الذي يصوغ الشاعر فيه تجربته. والتوبة مرحلة تسبق الحكمة التي يزخر بها شعر الحبس عند هدبة، والحكمة تتشكل بتجربة الشاعر وأزمته، وهي عند هدبة تنبع من تجربته

(١) الجاحظ - المحاسن والأضداد - الأولى، القاهرة ١٩٧٨، ص ٣.

(٢) شعر هدبة / ١٠٦.

(٣) شعر هدبة / ١٠٧.

(٤) شعر هدبة / ١١٣.

(٥) شعر هدبة / ١٣٠.

(٦) ج ٢ / ٢٦٢.

الخاصة، فقد بدا في حكمته ذاتياً، يمد يده في جعبة أزمته فيصوغ أبياتاً يمكن أن يستشهد بها في مواقف مماثلة، ولم يكن هدية من شعراء الحكمة المعروفين، ومع ذلك فقد صدرت بعض الحكمة عنه، قلما يعثر على مثلها عند شعراء الحكمة المعروفين. ولم تكن الحكمة عند هدية تقوم على أساليب وعظمية، ولم تتسم بالتشاؤم أو تخويف المخطيء وترهيبه، بل هي دروس عملية من الحياة، انبعثت من خبرة شاعر مارس التجربة وصاغها نظماً، ولم تكن حكمة هدية حكمة المعمرين، فقد قتل شاباً، ولكنها حكمة المحننين الذين أصيبوا بمحنة قاسية حرمتهم الحرية، والحب، والحياة. والحكمة أمر ضروري في تجربة هدية في حبسه ثم قتله، وهي مرحلة فكرية متطورة لتلك المراحل التي شملها الإطار الفكري لشعره، ولم تكن الحكمة في شعر هدية مقصودة لذاتها، ولم يجعل المقطوعة خاصة بها، ولم يأت بالحكمة منتالية داخل العمل الأدبي، بل جاءت متناثرة في ثنايا أعماله الفنية، مما يعطى لها تماسكاً فنياً، فقد كانت تؤيد الحديث الذي يصوره، وهي تختلف باختلاف تعبير الشاعر عن الموقف الذي هو بصده. ويمكن القول أن المحنة التي وقع فيها هدية هي التي جعلت شعر الحكمة يتفجر على لسانه، وربما لو لم تكن هذه المصيبة لخلا شعره من هذه الحكمة.

وشعر الحكمة عند هدية في الحبس يصور جانباً عظيماً من جوانب شخصية الشاعر، وهذا الجانب يبعد تماماً عن كونه حكيماً أو ناصحاً أو واعظاً، ولكنها تظهره مجرباً عاقلاً عالماً بأمر الحياة يعطى خلاصة تجربته المكثفة إلى الأجيال المعاصرة له أو التالية بعده، ينصحهم ولكن ليس بالطريق المباشر. وتوزعت مضامين الحكمة في شعر الحبس عند هدية على ما يختص بالمحنة ذاتها ليصوغها الشاعر في قوالب مكثفة، بعيدة عن الفلسفة والالتواء والغموض والتعقيد، وإلى ما يرتبط بالأمر الأخلاقية أو السلوكية في الحياة، وإلى ما يصور قسما الشاعر الذاتية، أما عن المصادر التي أمدت هدية بهذه الحكمة فلم تكن من القرآن أو الحديث أو السنة، ولم تكن من أقوال الفلاسفة والحكماء، ولم تكن ترديداً لبعض الأقوال المأثورة أو التعابير الجاهزة، ولكنها التجربة الخاصة والرؤية الذاتية، فكانت حكمة هدية خلاصة تعامله في الحياة.

وأفادت أشعار الحكمة شعر هدية، فقد أسهمت هذه الأبيات مع قلتها بالقياس إلى شعر الحبس في ذبوع شعر هدية وانتشاره، فقد صارت أقوالاً سائدة، وقد ينتزع البيت وتترك القصيدة كلها، لأن بيت الحكمة يجسد تجربة، ويمكن أن يُتمثل به في تجارب مماثلة. وقد تتفق أقوال هدية في الحكمة في بعض جوانبها مع بعض أقوال الفلاسفة والحكماء اتفاق مفكر وأديب مجرب، لا اتفاق ناقل أو متعلم. ويلخص هدية تجربته في الحياة في بيتين صارا من أشهر أقواله في الحكمة وقد استشهدت بها معظم مصادر الأدب، وهما:

ولست بمفراح إذا الدهر سرّني ولا جازع من صرفه المتقلب  
ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب<sup>(١)</sup>

وتتضح شخصية هدية في بعض جوانبها من خلال البيتين السابقين، فهو لا يفرح إذا سره الدهر ولا يجزع إذا أصابه بسوء، ولا يتمنى الشر ولكنه إذا اضطر إليه فلا مفر منه. وهى أخلاقيات تصور شخصية بدوى صلب وفيها الكثير من مثل الجاهلية. والبيتان قائلها هدية ارتجالاً، وتلك سمة من سمات شعر هدية، دفعه إلى قولها حرارة الموقف، فكان التركيز والتكثيف، والبيتان خاليان تماماً من أى لون من ألوان التعقيد، فالألفاظ واضحة يسيرة تختلف عن نوعية الألفاظ التى كان يصوغ هدية منها شعره في وصف الرحلة، أو في وصف الناقة، فقد كان يغلب عليه اختيار ألفاظ البداوة، أما في الحكمة فلا حاجة للقارئ لمعاجم اللغة، بل قولها الشاعر سهلة يسيرة، حتى تودى وظيفتها في الذبوع والتذوق. وأضحى الحكماء والمؤدبون يؤدبون الناشئة على حكمة هدية أو بعضها، فنرى أبا على القالى في أماليه يوجه القول إلى الابن ناصحاً إياه مستشهداً بحكمة هدية، فيقول القالى<sup>(١)</sup>: «أى بنى، إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط، فإنه قد كان يقال: أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما، وكن كما قال هدية بن الخشوم:

وكن معقلاً للحكم واصفح عن الخنا      فإنك راء ما حبيت وسامع  
وأحب إذا أحببت حباً مقارباً      فإنك لا تدري متى أنت نازع  
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً      فإنك لا تدري متى أنت راجع<sup>(٢)</sup>

ويروى ابن قتيبة في الشعر والشعراء قولاً للقاضى أبى الحسين فى كتابه «كان بعض إخوانى يتمثل كثيراً ببيت لهدية وهو:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه      يكون وراءه فرج قريب  
هذه نماذج من شعر الحكمة فى حبس هدية، النموذج الأول يصور بعض صفات الشاعر الذى لا يفرح ولا يجزع، والثانى يطلب بالتمسك بالحلم وعدم الإفراط فى الحب أو البغض، والثالث يدور حول الفرج بعد الشدة.

والنماذج جميعها مستقاة من تجربة الشاعر الخاصة، استطاع فيها أن يصور المراحل النفسية

(١) شعر هدية ٧٤/٧٥.

(٢) التالى: أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى «كتاب الأمالى - لجنة إحياء التراث العربى - دار الجليل - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٧ ج٢ ص ٢٠٤.

(٣) السابق ج٢ ص ٢٠٤.

التي مر بها في الحبس، فهو تارة يعيش على الأمل، وأخرى يعترف بالذنب، وثالثة تظهر حقيقة الأمور أمامه، وتنساب الحكمة على لسان هدية تصور كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث.

وتركيب العبارة في شعر الحكمة عند هدية في الحبس، يتفق والهدف الذي من أجله نظمت الأشعار، فتكون الجملة شرطية أو منسوخة، وتتعلق النتائج بالمقدمات دون إضافات، وفيها سهولة اللفظ وليونته مع عدم هبوطه إلى الإسفاف والابتذال. وكذلك كانت الصور في حكمة هدية قليلة بل نادرة، مستمدة من واقع التجربة، وواضحة لا التواء فيها، مثل ركوب الشر، والطباق بين الفرخ والجزع، وبين الكرب والفرج، وبين الأمن والخوف، والقيد والفك، وكلها تدور في قالب الطباق البسيط. وقد أكثر الشاعر في الحكمة من الطباق، ليصور تناقض مواقف الحياة من حوله، فقد تبدل به الحال من الأمن إلى الخوف ومن الحرية إلى الحبس، حتى أضحي الطباق من أوضح مظاهر البديع في حكمة هدية.

وقد قدم هدية الحكمة حين صاغها من تجربته وقدمها جاهزة للغير، حتى لا يقع غيره فيما وقع فيه، وقد صاغ هدية الحكمة في عبارات بسيطة تتفق والفكرة، وضمنها ألفاظاً تلائم ذلك اللون، متجنباً التصوير أو الخيال، بعيداً عن التصنع الفني، تاركاً نفسه الفنية على سجيتها في تعبيرها، حتى يستكمل ذلك الإطار الفكرى في تعبير الشاعر عن محنته.

وتتلور وصية هدية حين قتله إلى زوجته، التي كان يحبها، ويغار عليها، وكان هدية يجب والديه أيضاً، وقد حضرا ساعة قتله، وهدية يخاطب والديه حين سيق إلى الموت، فيقول لهما:

أبليانى اليوم صبراً منكما      إن حزناً منكما عاجل ضر  
لا أرى ذا الموت إلا هينا      إن بعد الموت دار المستقر  
أصبرا اليوم فإنى صابر      كل حى لقضاء وقدر<sup>(١)</sup>

وقد تسابقت مصادر الأدب في حفظ الأبيات السابقة، فرواها صاحب الأغاني، وصاحب أسماء المغتالين، وصاحب تزيين الأسواق، وصاحب الخزائنة، وكذلك في شرح شعر المغنى، وفي نزهة الأبصار، كما أتى بها صاحب شعراء النصرانية.

والأبيات تمثل إيمان شاعر وصموده ساعة قتله، وعاطفة الشفقة على والديه أكثر من خوفه على نفسه، فقد قتل هدية شاباً ووالديه أحياء ينظرون إليه، والسيوف أوشك أن يطيح برأسه، فأراد الشاعر أن يخفف من هول المصيبة عليها، فهو يساق إلى الموت بين الأب والأم والزوجة

(١) البغدادي (عبد القادر بن عمر البغدادي) - خزائنة الأدب ولب لباب لسان العرب دار صادر - بيروت - المجلد الرابع ص ٣٩٧.

الولهي، فيطلب الشاعر منهم الصبر، فكل حتى مصيره إلى الموت مها طال به الزمن، وهون من وقع الموت على نفسه فيراه هيناً، ليهون من وقع المصيبة على والديه وزوجته.

\* \* \*

أما المضمون التالي فهو رثاء النفس:

وهو من الموضوعات الجديرة بالبحث أيضاً، فهو رثاء يختلف عن الرثاء المعروف عند الشعراء، حيث يرثي الشاعر ذاته عندما يحس بقرب الموت، وهو لون معروف منذ الجاهلية، فقد رثى امرؤ القيس نفسه حين شعر دنو أجله في عودته من رحلته إلى القيصر، ومن الشعراء المشهورين برثاء النفس مالك بن الربيع التميمي، ويقال: إن أول من رثى نفسه «يزيد بن حذاق العبدى»<sup>(١)</sup> وجاء في رثائه لنفسه:

هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حجام الموت من راق  
وأرسلوا فتية من خيرهم نسبا ليسندوا في ضريح التراب أطباقي<sup>(٢)</sup>

ومن الشعراء الذين رثوا أنفسهم «أبو عامر بن شهيد الأندلسي» وكان مريضاً فبكى نفسه ورثى حياته، وعادة حين يصاب الشعراء الفرسان في الحرب بجرح نافذ يرثون أنفسهم كما فعل مالك بن الربيع، ومن الشعراء من يرثون الأعضاء، فرثى عبد الله بن سرّة الجرشي يده، والشاعر الخريمي يرثى عينيه عندما أصيب بالعمى. ورثاء النفس عند هدبة كان ينبع من إحساسه القوي بقرب نهايته، وانفعاله الحاد بمفارقة الحياة والأحباب، ويقوم رثاء الذات عنده على شفقتة على نفسه، فهو رثاء شخصي ينبع من إحساسه، واسترجاع الذكريات، ورؤية الأحباب أمام عينيه، وشبابه وقوته، وقد رثى هدبة نفسه في قوله:

ألا علاني قبل نوح النوائح وقبل غد يالهدف نفسي على غد  
وإذا راح أصحابي بفيض دموعهم وإذا راح أصحابي ولست برائح  
يقولون هل أصلحتم لأخيكم وما الرمس إلا في الأرض الثراء بصالح  
يقولون لا تبعدهم يدفنون وليس مكان البعد إلا ضرائحي<sup>(٣)</sup>

(١) أبو هلال العسكري - الأوائل - ت: د. محمد السيد والوكيل - دار البشير المنصورة، مصر - الأولى ١٩٨٧ ص ٤٤٠.

(٢) المصدر السابق - ص ٤٤٠.

(٣) شعر هدبة ص ٨٩.

وقد أورد الجرجاني في وساطته مثل هذا البيت الأخير لمالك بن الربيع في رثاء النفس وهو:  
يقولون لا تبعدهم يدفنوني وليس مكان البعد إلا مكانياً<sup>(١)</sup>

ومقطوعة هدية من خير ما رثي به الشعراء أنفسهم، فقد أفرغ الشاعر ذاته لذاته، واستهلها مصرعا، وأفرد لها مقطوعة خاصة، ولم يجعل رثاء النفس غرضاً فرعياً من أغراض قصيدة له، واتفقت المقدمة مع موضوع القصيدة، فهي مقدمة من مقدمات رثاء النفس، مقدمة حزينه تقوم على نوح النوائح، حين تطلع النفس من الجوانح، ويصور ذهاب الأصحاب عنه، وتركه في قبره وحيداً، والأصحاب يبكون، وتفيض الدموع حزناً لفراقه، وهو في لحده بين الصفائح، كما يحدد الشاعر طبيعة الأرض التي يمكن أن تكون صالحة لقبره وهي أرض ليست بأرض قواء، لأن القبر في الأرض القواء غير صالح، والأرض القواء هي الأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين، وكما يتمنى الأصحاب ألا ليبعد عنهم أثناء دفنهم له، ولكن هيهات أن يصير ذلك فهو ملاق ربه عما قريب.

إن إحساس الشاعر بفقدان نفسه، جعله يختار ألفاظاً تصور النوح وتجسد الوداع وتعبّر عن الحزن، وتفجر طاقات هائلة من العواطف الحارة بعيداً عن المجاز والخيال، ولا تصلح إلا للغرض الذي كان الشاعر بصدده يصور رثاء الذات.

والموسيقى في هذه اللوحة الحزينة تعزف لحن الوداع في نغم جنازى، كان يرنُّ في أذن الشاعر حين تخيل فراق الحياة والأحباب وانتقاله إلى العالم الأبدى، كما خلت اللوحة من التصوير فلم يكن له مجالاً، إنه يعبر عن نفسه ويرضى ذاته، بينما اشتملت اللوحة الحزينة على الطباق الذي يقوم على التناقض بين الحياة والموت والرحيل والبقاء، فجاءت المقطوعة مؤثرة بليغة تعد من أروع أعماله الفنية في الصدق والثراء الفني وحرارة التعبير الصادق.

ويستشهد الجاحظ على أن «هدية هذا كان من شياطين عذرة وهذا شعره كما ترى، وقد أمر بضرب عنقه وشد خناقه، وقليلاً ما ترى مثل هذا الشعر عند مثل هذه الحال، لناهيك به مطلقاً غير موثق، وادعاً غير خائف، ونعوذ بالله من امتحان الأخيار»<sup>(٢)</sup>.

والمحنة لها ضغطها وتأثيرها، مما له أوقع الأثر في صياغة الفكرة وتشكيلها، وروت بعض مصادر الأدب أن هدية حين ذهب به ليقتل، انقطع قبال نعله، فجلس يصلحه، فقيل له: اتصلحه وأنت على مثل هذه الحال، فقال:

أشد قبال نعلى أن يرانى عدوى للحوادث مُستكيناً<sup>(٣)</sup>

(١) الجرجاني - الوساطة - ١٩٣. (٢) الجاحظ - الحيوان - ج ٧ ص ١٥٧.

(٣) أسماء المعتالين ٢٦٢ - والتذكرة الحمدونية والبرهان والرهان وغيرها.

وقال هدبة شعراً قبل أن يقتل، وهو:

إن تقتلونى فى الحديد فإننى قتلت أخاكم مطلقاً لم يقيد<sup>(١)</sup>  
ويروى صاحب الكامل فى اللغة قولاً لهدبة لحظة قتله حين أوصى قاتله قائلاً: «أثبت  
قدميك، وأحد الضربة، فإنى أيتمتك صغيراً، وأرملت أمك شابة، ما أجزع من الموت».

ويضع صاحب الذخيرة<sup>(٢)</sup> هدبة بين الشعراء الذين كان شعرهم فى الأمن والخوف سواء،  
وهذا يتوقف على «قدرة كل شاعر وسكون جأشه، وقوة غريزته»، ومنهم طرفة بن العبد  
ومرة بن محكاة السعدى، وتميم بن جميل السدوسى، وأشعارهم ساعة القتل موجودة فى الكامل  
والذخيرة. ومن الأفكار التى تناولتها أشعار هدبة فى هذه المرحلة، تعليل الشجاعة والتماسك  
والصلابة خشية شماتة الأعداء، فكان هدبة يخفى حزنه خلف ضلوعه، ويقول فى هذا المعنى:

فلم أبدُ الذى تحنو ضلوعى عليه وإننى لا أنا الكئيب  
مخافة أن يرانى مستكيناً عدو أو يساء به مريب  
ويشمت كاشح ويظن أنى جزوع عند نائبة تنوب<sup>(٣)</sup>

ويطلب هدبة من محبيه ألا يبكوا عليه حين يحين حينه:

فقلت له لا تبك عينك إنه يكفى ما لاقيت إذ حان موجبى<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

سمات فنية:

هذه أهم المعانى التى احتوتها تلك المرحلة من مراحل تعبير هدبة، حيث صور الموقف،  
وجسد الرؤية ومزجها بنظرته الخاصة إلى الحياة، وأبدى صموداً وشجاعة.

وقد وفر هدبة لشعر تلك المرحلة أدواتها الفنية الخاصة، وإن كانت محاور التعبير عند هدبة  
تدور حول المحنة إلا أن طبيعة كل جزئية فيها تختلف عن الأخرى؛ فالشعر الذى يدور حول  
الحبس والقيد والسجان، يختلف عن شعره ساعة القتل، ويختلف عن شعر التوبة والاعتراف.  
والشاعر حين صور الحبس والقيد والسجان، كان مأخوذاً بمرارة التجربة وقسوة الموقف،

(١) الأغاني ٢١ / ٢٧٢ وشعر هدبة ص ٩٠.

(٢) ابن بسام - الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة - ت: د. إحسان عباس دار الثقافة بيروت - لبنان -

الأولى ١٩٧٩ ج٤.

(٣) شعر هدبة / ٦٢.

(٤) شعر هدبة / ٧٨.



وهذه المراحل التعبيرية هي: مرحلة السجن والقيء والسجان - مرحلة الذكريات والتشوق والحنين - مرحلة التوبة والاستغفار والاعتراف والإيمان بالقضاء - مواجهة المصير المحتوم وراثا النفس والوصية.

وهذه الجوانب التعبيرية من شعر هدية في الحبس تتوزع جميعها في إطار فني واحد، ينبع من المبدع الفرد ومن ذاتية الشعور وتلقائية التعبير من إنسان مأزوم حساس مرهف. ومعظم شعر هدية قيل وهو في الحبس، حتى إن الرواة لم يهتموا به قبل حبسه، فلم يصبح شاعراً مشهوراً إلا بعد دخوله السجن، فقد فجرت المحنة كوامن طاقاته الإبداعية والشعورية.

\* \* \*

ويمكن القول بناء على هذه القراءة الأدبية، التي استهدفت النظرة الإجمالية وعدم الفصل بين الشكل والمضمون، أن لكل مرحلة من مراحل تعبير هدية سماتها الفنية الخاصة، وأن شعر هدية في الحبس على إطلاقه يتسم بسمات فنية عامة، من أهمها: تلك السمة التي تتعلق بمقدمات القصائد لشعر هدية في الحبس، فله خمسون قصيدة ومقطوعة قالها جميعها في حبسه، سبع قصائد فقط هي التي وفر لها الشاعر مطالع فنية، أما بقية أعماله فقد خلت من المطالع. ويعود ذلك إلى أن هذه القصائد السبع هي من أطول أعماله الفنية التي احتفظ الرواة بها، أما بقية أشعاره فكانت تأخذ شكل المقطوعة أو البيت أو البيتين أو ثلاثة الأبيات.

ولا يعلل إهمال الشاعر للمقدمات بأنه كان «جاني النفس، غليظ القلب، عسير الطبع»<sup>(١)</sup> أو أنه كان من الخارجين على نظم القصيدة التقليدية، ولكن يعلل ذلك بأن الشاعر كان ينظم في موضوع جديد، لم تتأصل تقاليد بعد، كما أن الشاعر لم تتح له الفرصة للتأني والإعداد، كما أن الحالة النفسية كانت تحركه في المقام الأول أكثر مما يحركه استرضاء النقاد والرواة.

وهدية في مطالعه في شعر الحبس بدأ شاعراً تقليدياً ملتزماً يأتي بالتصريح وباللفظ الجزل والصورة البدوية، ويربط بين المقدمة والموضوع ارتباطاً وثيقاً، وهي مقدمات تقوم على النواح وعلى التذكر، وكلها مقدمات حزينة وثيقة الصلة بمأساة الشاعر.

(١) د. حسين عطوان - مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي - المعارف، ص ٢٠٥.

ويمكن التعرف على مطالع هدية في شعر الحبس من خلال الإحصائية التالية:

رقم القصيدة في الديوان	الصفحة	عدد الآيات	أولها
١	٥٧	٢٤	طربت وأنت أحياناً طروب
٣	٦٤	٥٤	تذكرت شجوا من شجاعة منصبا
١١	٨٣	٤٠	ألا علاق والمعلل أروح
١٣	٨٩	٤٣	ألا علاق قبل نوح النواتح
١٥	١٠١	٢١	ألا بالقومى للنوائب والدهر
٢٩	١١١	١٧	أقل على اللوم يا أم بوزعا
٣٦	١٢٤	٧١	أتنكر رسم الدار أم أنت عارف

ومطالع هدية تمتاز ببراعة الاستهلال، أو بما أسماه البلاغيون حسن الابتداء، فقد اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع «عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة، مع اجتناب الحشو، ليس له تعلق بما بعده، وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه، بحيث لا يكون شطره الأول أجنبياً عن شطره الثاني»<sup>(١)</sup>. ووافق هدية بين مطلع القصيدة وما بنيت عليه، «مشعراً بغرض الناظم، من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم، ويستدل بها على مقصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح»<sup>(٢)</sup>.

وقد يفهم غرض القصيدة من مطلعها، وفي قصائد هدية التزام بالأصول الفنية في جودة المطلع وفي حسن التخلص، وفي تناسب الألفاظ مع المضمون المعبر عنه، وكذلك الصور أيضاً، فالقصيدة الواحدة تجمع بين الجزالة والبساطة وبين بدوأة التعبير والتصوير لقسوة الصحراء وبين رقة التعبير للحزن والمأساة، وبين الشموخ والرجولة والتحدى، وبين الشوق للأهل والحنين للزوجة، وبين التصوير المرئي وبين التعبير غير المنظور عن كوامن الشجن. ولا يعد تعدد الأغراض في قصيدة هدية الطويلة عيباً يؤخذ عليه، ولكنه كان متوافقاً مع مراحل الشاعر الشعورية في حبسه، فقد كان شعره في الحبس موزعاً بين مطولات وقصائد ومقطوعات وأبيات، والمرحلة التي نظم الشاعر فيها قصائده تختلف في طبيعة الإحساس بالأزمة، عند الشاعر، والمواقف التي قال فيها البيت أو البيتين وعندما نظم الشاعر مطولاته، ثم كان لا يزال يحده

(١) ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب - مكتبة الهلال - بيروت - الأولى، ١٩٨٧.

ص ٢٠.

(٢) السابق ص ٢١.

الأمل في الحياة، فاستطاع أن يفرغ لطيفه، وأن يسترجع الذكريات في رحلاته بالصحراء وحيواناتها، وليستعيد المسأة والشوق إلى الأهل وغير ذلك، وجاء ذلك كله في إطار فني واحد منسجم مع الجزالة والرقعة، وبين قوة التعبير وليونته.

فكان شاعرا يشعر بنبض الحال ودقة حركته، ويعبر عن الموقف ورقته.

والقصائد بالضرورة أعد الشاعر لها الإعداد الفني اللازم، أما المقطوعات والأبيات فإنها تمتاز بالارتجال، فقد كانت المقطوعات تعبيراً عن موقف آني للشاعر، وطلب منه فيه أن يقول شعراً، أو أحس بمفاجأة من حوله فنظم فيها، وكانت تمتاز بما يمتاز به الارتجال من سرعة البديهة والجواب الحاضر. وألفاظ هدية كانت تتأرجح بين القوة والجزالة وبين السهولة والرقعة، فقد كانت قوية في معرض وصف البادية وفي معرض الفخر والتحدى، وكانت رقيقة في تصوير حزنه وفي التعبير عن أشواقه وحنينه.

وقد التزم في الموسيقى بما يجب الالتزام به في القصائد الطويلة، متوسلاً بالتصريح في المطلع وبالبحور الطويلة، وبالقفائية الواحدة الرتيبة واحدة والروى، فلم يعدد في القوافي في العمل الواحد، ولم يخرج عن بحور الشعر العربي المعروفة، وعملت قوافيه على إعطاء الجو الموسيقي اللازم في تصوير الموقف. أما عن الصور فكانت قليلة خاصة في المقطوعات والأبيات، وذلك للارتجال وسرعة البديهة، وعدم التأني في العمل على توفير الأدوات الفنية، والصورة موجودة في قصائده الطويلة، ولكنها ليست بالكثر التي تلفت النظر، وتقوم جميعها على الإحساس المادى المستمدة عناصره من معالم البادية والصحراء، وقد التزم الشاعر فيها بما اتفق عليه الشعراء القدماء في صورهم، فلم يجنح إلى الخيال ولم يغرب في التصوير وطفى التشبيه على كل ألوان صورته، وبدت الاستعارة قليلة. وأما عن ألوان البديع فكان الطباق الحاد أزهى صورته، وقد اعتمد على التضاد بين اللفظين تضاداً مباشراً حاداً قوياً: بين الظلام والنور وبين القيد والحرية، وطبيعة الموقف هي التي أملت على الشاعر أن يكثر من ذلك اللون الذي يطابق بين ما هو كائن وبين ما كان يمكن أن يكون عليه. وبطبيعة الحال فقد كان شعر هدية في حبسه شعراً ذاتياً، بل كان حديث النفس واسترجاع الذكريات، وخلا من الأغراض التقليدية المعروفة في شعر في الحبس، ولم يكن الشاعر غيرياً، فهو ليس من الشعراء المحترفين، وكان يعبر عن أزمته ولم يعبر عن أزمتهم الآخرين، لقد كان هدية مشغولاً بنفسه انشغالاً عظيماً، فبدا من شعره في الحبس فناً أصيلاً يعد خير مثال للشاعر الداعي الذي يسخر شعره في التعبير عن عواطفه في إحساس مرهف دقيق.

لقد أفاد الحبس شعر هدية في أن تصدر عنه كل هذه الأصوات لتعطي لحناً واحداً مميزاً يحمل بصمات الشاعر وطوابعه الخاصة. مما جعل الرواة والعلماء اللغويين يتهافتون على حفظ شعره،

أحتق كان الزبير بن بكار يخص هدية بكتاب يحمل أخبار هدية كما ورد في فهرست ابن النديم<sup>(١)</sup>، وكذلك فعل السكري حين جمع شعر هدية بن الحشرم العذري. وكان الرواة ينشدون شعر هدية نموذجاً للجزالة والغرابة في بعض الأحيان، كما يروى عن أبي حيان التوحيدى حين سئل أن ينشد أبياتاً غريبة جزلة فأنشد هدية العذري بعض أبياته<sup>(٢)</sup>. وأسهم أصحاب معاجم البلدان في ذبوع شعر هدية فاستشهدوا به كثيراً في معجم ياقوت والبيكري وغيرهما، كما أمد شعر هدية علماء النحو بمادة ثرية خصبة، فقد جاء ذكر شعر هدية بصورة لافتة للنظر في كتب النحو، ويستشهد به على صحة القاعدة وسلامة التركيب.

وقد أعطى شعر هدية لعلماء النحو واللغة مادة طيبة استطاعوا على ضوئها أن يؤكدوا صحة النظرية.

إن شعر هدية أشبه بروضة متعددة الأزهار تعطي لكل عاشق ما يألفه ويهواه، فقد أعطى شعر هدية للقصاص مادة للحكاية، وأعطى للرواة ولعلماء اللغة والنحو الشاهد والدليل، وأعطى لأصحاب معاجم البلدان ما يحدد معالم المكان، وأعطى للشاعر القدوة والمثال، وللعاقل الحكمة والنصيحة، وللمأزوم الصبر والتحمل، وللناشئة النموذج في الرجولة والجلد، وللمحب العاشق دروساً في الشوق والوفاء والإخلاص.

فجاء شعر هدية في الحبس معبراً عن انطلاقة في عالم فني متسع غير محدود أو مقيد، يشع بحرية في موجات متدفقة، تقوم على الجمال والصدق.

(١) الفهرست - دار المعرفة - بيروت ١٩٧٨ ص ١١٧، ص ١٦١.

(٢) التوحيدى - الإمتاع والمؤانسة - أحمد أمين وأحمد الزين - المكتبة العصرية بيروت - ١٩٧٣ ج ٣

ص ٣٠، ٢٠٤.